بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾

هذه هي فاتحة الكتاب، وهي مقدمة القرآن الكريم، والسورة الأولىٰ فيه، وتتكون من ثلاث فقرات:

الأولىٰ: ثلاث آيات.. هي:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾

وتشتمل هذه الآيات علىٰ: حمد الله تعالىٰ وتمجيده والثناء عليه.. بذكر أسمائه الحسنىٰ المستلزمة لصفاته العليا سبحانه، وعلىٰ ذكر المعاد، وهو يوم القيامة .

وهذه هي عقيدة المسلم.. بإيجاز شديد.

الثانية: آية واحدة.. وهي:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾

وتشتمل هذه الآية علىٰ: إرشاد عباد الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ سؤاله، والتضرع إليه والاحتماء بجنابه، والتبرؤ من حولهم وقوتهم.

كما تشتمل علىٰ: إرشادهم إلى إخلاص العبادة لله وتوحيده، وتنزيهه من أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل.

وهذه هي عبادة المسلم الحقة.. بإيجاز شديد.

والفقرة الثالثة: آيتان هما:

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

تشتمل هاتان الآيتان ـ كذلك ـ علىٰ تعليم الناس سؤال المولىٰ ﷻ الهداية إلىٰ الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، وتعليمهم ـ كذلك ـ طلب التثبيت عليه، حتىٰ يؤدي بهم هذا الطريق السليم المستقيم إلىٰ النجاة في المرور على الصراط يوم القيامة، والوصول إلى جنات النعيم، في جوار (النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين) الذين كانوا محل القدوة لهم في الدنيا، ومثلهم الأعلى.

وهذا هو منهج الحياة الصحيح السليم الواضح، الذي يُعتمد عليه في الفلاح في الدنيا، وفي النجاة يوم القيامة.

ولهذه السورة منزلة كبيرة وفضل عظيم، يشير إلى ذلك ويوضحه أحاديث نبوية كثيرة، **من ذلك:**

ما يرويه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله عز وجل** ـ أي في الحديث القدسي ـ: **قسمت الصلاة** ـ أي سورة الفاتحة ـ **بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد:**

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **قال الله تعالىٰ: حمدني عبدي.**

وإذا قال العبد: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **قال الله تعالىٰ: أثنىٰ عليَّ عبدي.**

وإذا قال العبد: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾. **قال الله تعالىٰ: مجَّدني عبدي** ـ وقال مرة ـ: **فوَّض إليّ عبدي .**

وإذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل.**

فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل». (مسلم، ك الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة).

* * *

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾

هذه البسملة: مما أنزل الله تعالىٰ في القرآن الكريم، علىٰ هذه الأمة خصوصًا، حيث لم تكن في كتاب قبله، ولا عند أمة غير هذه الأمة، وقد تضمنت جميع علوم الشرع إجمالًا؛ لأنها تدل علىٰ ذات الله تعالىٰ، وعلىٰ صفاته العليا.

وهي: قَسَم من ربنا ﷻ أنزله عند رأس كل سورة.. يؤكد فيه لعباده: أن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة.. حق، كما أني أفي لكم بجميع ما وعدتكم به في هذه السورة، من لطفي عليكم، وبري بكم، وإحساني إليكم.

وقد ندب الشرع إلىٰ ذكرها في أول كل فعل وقول: كالأكل، والشرب، والجماع، وغير ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

وقال ﷺ: **«لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله، فقال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا؛ إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدًا»**. (البخاري، ك التوحيد، باب: السؤال بأسماء الله تعالىٰ: مسلم، ك النكاح، باب: ما يستحب أن يقول عند الجماع).

وقال ﷺ لعمر بن أبي سلمة: **«يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»**.

وشكا إليه ﷺ أحد أصحابه من وجع يجده في جسده، فقال له رسول الله ﷺ: **«ضع يدك علىٰ الذي تألم من جسدك، وقل: باسم الله، ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»**. (مسلم، ك السلام، باب: استحباب وضع يده علىٰ موضع الألم).

هيا.. لنعطر بها ـ دائمًا ـ شفاهنا، وألسنتنا.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾:

قال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كلمة كلِّ شاكر.

قال الله لنوح عليه السلام:

﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وقال إبراهيم عليه السلام:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وحكىٰ الله تعالىٰ في قصة داود وسليمان عليهما السلام، قولهما:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

وقال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

ويقول أهل الجنة:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

وقال أيضًا: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وقد أثنىٰ الله تعالىٰ بالحمد على نفسه، وافتتح كتابه بحمده.

ولم يأذن في ذلك لغيره، بل نهاهم عن ذلك في كتابه، وعلىٰ لسان نبيه ﷺ.

يقول الله ﷻ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وفي الحديث الشريف: «**احثوا في وجوه المدَّاحين التراب**». (مسلم، ك الزهد والرقائق).

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

أي: مالكهم؛ إذ كل من ملك شيئًا فهو ربه، وهو اسم من أسماء الله تعالىٰ، خاص به.

وأما كلمة ﴿رَبٍّ﴾: فإذا دخلت عليها الألف واللام، وصارت الرب خاصة بالله تعالىٰ، لا تطلق علىٰ غيره. وأما إذا حذفت الألف واللام وأضيفت: صارت مشتركة بين الله تعالىٰ وغيره.

فيقال: الله رب العالمين، أو رب العباد. ويقال: خالد رب الدار، وعامر رب البيت.

والله ﷻ: رب كل الأرباب.

و ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كل موجود سوىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٣، ٢٤].

ويصير المعنىٰ: أن الحمد والشكر: لله خالصًا، دون ما عداه، بسبب ما أنعم على عباده من النعم، التي لا يحصيها العد، ولا يحيط بعددها غيره أحد ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾

بعد أن وصف الله نفسه، بـ ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وفيها ما فيها من الترهيب والتخويف، أتبع ذلك بوصف ـ تبارك وتعالىٰ ـ نفسه، بأنه الرحمٰن الرحيم لما فيها من الترغيب والتحبيب. وذلك: ليجمع الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بين الرهبة منه والرغبة إليه، فيكون ذلك أعون علىٰ طاعته، وأمنع من معصيته.

كما في قوله تعالىٰ: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

وكما في قوله سبحانه: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

وفي الحديث الشريف: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع في جنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد**».

هذا.. **والرَّحْمَنُ**: بجميع أنواع الرحمة. وهو: المستحق وحده للعبادة.

وللعلم: هذا اسم مختص بالله تعالىٰ، لا يجوز أن يُسمَّىٰ به غيره.

يقول عز من قائل:

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وأما **الرَّحِيمُ**، فذلك بالمؤمنين.. في الهداية لهم، واللطف بهم.

وهذا اسم لله تعالىٰ. ولكن يجوز أن يطلق علىٰ بعض المخلوقين، كما في قوله تعالىٰ، في وصف محمد ﷺ: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨].

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾

﴿مَٰلِكِ﴾ من المِلْك، وهي: الملكية، كما في قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠].

وقرئت ملك من المُلك، كما في قوله تعالىٰ:

﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

و ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: يوم الجزاء، يوم الحساب، يقول تعالىٰ:

﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ [النور: ٢٥] أي: جزاءهم العادل.

هذا.. وتخصيص الملك بيوم الدين، لا ينفي ملكه تعالىٰ لغيره؛ حيث تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك في الدنيا والآخرة.

وإضافة الملك إلى يوم الدين: لأنه لا يدَّعي أحد في هذا اليوم شيئًا، بل لا يتكلم أحد إلَّا بإذنه، قال الله تعالى:

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

ويقول تعالىٰ: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

كل ذلك في يوم القيامة. يوم يدينهم الله، أي: يحاسبهم بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، إلَّا مَن عفا الله عنه. نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

العبادة: كمال المحبة، والخضوع، والخوف، والمراقبة، والامتثال لشرع الله إجمالًا وتفصيلًا.

والاستعانة: الاحتماء بالله تعالىٰ، والتفويض إليه في كل الأمور. كما أنها الاستعانة به في الطاعة، وغيرها من جميع الأمور والأحوال.

والمعنىٰ: لا نعبد إلَّا إياك، ولا نتوكل إلَّا عليك، ولا نستعين إلَّا بك. وهذا هو كمال الطاعة، ومنتهىٰ العبودية لله تعالىٰ.

حيث إن العبد ـ كما يقول الإمام ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ لمَّا عرف حق مولاه، سبحانه وتعالىٰ، وأثنىٰ عليه بما هو أهله: كأنه اقترب ـ بفضل الله تعالىٰ ـ وحضر بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ.

ولذا خاطبه خاضعًا خاشعًا، قائلًا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مستشعرًا ـ في ذات الوقت ـ حلاوة القرب، ونعمة الطاعة.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

هذا هو النصف الثاني من الدعاء، وهو الذي فيه التصريح بالحاجات والمطالب إلى الله تعالىٰ. جاء بعد النصف الأول من الدعاء، وهو الذي فيه الثناء علىٰ الله تعالىٰ.

و ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ هو دين الله وشرعه، الذي لا يقبل من العباد غيره.

والمعنىٰ: يا رب دلنا على الصراط المستقيم، وأرشدنا إليه، وثبتنا عليه، وأرنا طريق هدايتك، الموصلة إلىٰ أنسك وقربك ورضاك. وذلك بأنس الرفقة والصحبة الصالحة،

الذين جمعوا بين العلم والعمل به، وهم الذين أنعمت ﴿عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

حيث إن الإنسان قد يهتدي إلىٰ الطريق، ثم لا يسير عليه أو لا يثبت فيه، ولا يدوم ملازمًا له.

يا رب..!! نجِّنا من الرفقة السيئة، والصحبة الضارة..المذكورين في قولك: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم الذين عرفوا الحق، ولكنهم رفضوه وعاندوه؛ ففقدوا العمل وحرموا الطاعة ؛ ولذا غضب الله عليهم.

وكذلك المذكورين في قولك: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهم الذين فقدوا العلم، وضلوا عن الحق، وألفوا ضلالهم، واستمروا فيه، ودافعوا عنه ؛ فخاب سعيهم، وبطل عملهم.

ختامًا.. يستحب لمن يقرأ الفاتحة.. أن يقول بعدها: آمين.

ومعناه: (اللهم استجب لنا).

عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت آمين في الصلاة وعند الدعاء، لم يعط لأحد قبلي، إلَّا أن يكون موسىٰ عليه السلام كان موسىٰ يدعو، وهارون يؤمن، فاختموا الدعاء بـ (آمين) فإن الله يستجيبه لكم**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الإمام: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ فقولوا آمين؛ فإن الملائكة في السماء تقول آمين؛ فمن وافق قوله قول الملائكة؛ غفر له ما تقدم من ذنبه**».

* * *